من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

ونعود بعد ذلك إلى قصيدتنا فنكشف ما فيها من سمات الشعر الجديد بقدر ما يطيقه قلمي الضعيف . فمنها :

اضطراب الوزن

وشعراؤنا المجددون لا يأبهون بأوزان الشعر كثيراً ... هم ينظمون كما تهديهم الفطرة فإن جرى نظمهم على أوزان الشعر فبها . وإن حادوا عنها ووجدوا من يلومهم أخذتهم العزة فراحوا يعنفون هذا الأسلوب العتيق — مراعاة الوزن — ويتادون بتحرير الشعر من هذه القيود الثقيلة التي اصطنعها الأقدمون

وإذا كان الشاعر — على شرف الدين وهو من الذين درسوا العربية وراضوا عروضها وقافيتها يهمل الوزن فأحر بسائر شعرائنا الشبان أن يكونوا أكثر منه إهمالاً له

مطلع قصيدته « أين الطريق »

ملّ الرحيل معمَّرٌ أودى به حظ الأديب

وهي كما ترى من (مجزوء الكامل) ووزنه (متفاعلن) أربع مرات . وقد اختل الوزن فيها مرتين . الأولى في قوله :

لن تشهدي مني السرور على الشروق ولا البكاء على الغروب

فإنه كرر (متفاعلن) خمس مرات . والأخرى كذلك أيضاً في قوله :

وكأنما للغمط والحرمان من أبنائها حظ الأديب

تناقضه المعاني

ويحدث هذا في أشعار القوم ، لأنهم لا يقصدون إلى هدف في نظمهم . وإنما هي أفكار تروح وتجيء ، وتشرق وتغرب على غير هدى . ولقد يخيل إلى أن الشاعر منهم يشرع في نظم قصيدته وما في نفسه غاية أو هدف فما يزال يلفق البيت والأبيات من الشرق ومن الغرب حتى تستوي له قصيدته . ولئن سألته ماذا يعني وأيا يريد لتسلل لواذاً ما يلوي على شيء . فهل تنتظر من مثل هذا إلا أفكاراً متناقضة ومعاني متباينة ؟

وهذا شاعرنا يحدثنا عن برمه بالحياة لكثرة نوازلها حتى لقد مات شعوره

وتمردت نفسي زماناً ثم ثابت من لغوبِ
مات الشعور بها فما أنا بالحزين ولا الطروب

وإذن فقد مات شعوره فما يحس حزناً ولا طرباً ، ولكنه بعد ذلك يحدثنا عن قلبه الذي ينزع بالشجو ثم يشكو أساه إلى والديه ، ثم يرجع في آخر قصيدته « مكلوم الفؤاد يحظ منسي سليب » ، ولست أدري كيف يتفق الشجو والأسى والفؤاد المكلوم لإنسان فقد الشعور ؟ ...

وتراه يقول إنه لم يبق منه بعد أن أرهقه الزمان

إلا بقـــايا مأتم في الوجه يبديه شحوبي

مرسيه ، إذ كيف يمكن أن يكون القرآن أساساً للمنهج الكتابي من غير أن يقلد أو يحاكى ، أم كيف يتكلفون الهرب من محاكاته ثم يكون عندهم أساساً للمنهج الكتابي ؟

وأعجب من هذا وأصرح في تناقضه أنه بعد أن رجح معرفة الجاهليين علم النحو بناء على جرى القرآن على نمط واحد في أوضاعه النحوية ، رجع فنفى ذلك في الهامش في نفس الصفحة (ص ٥٥) إذ يقول تعليقاً على دعواه تلك :

« عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، ولكنه دليل على أن اللغة كانت موحدة في طرائق التعبير ، وهذا كاف للاقتناع بأنهم فكروا في ربطها بقواعد النحو وأصول البيان » ! فانظر إلى استدلاله على معرفتهم النحو في الجاهلية بعدم اختلاف الأوضاع النحوية في القرآن ، ثم نصه على أن عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، واحكم هل هذا بحث باحث أو عبث عابث ؟ أما كيف أن توحد اللغة في طرائق التعبير كاف للاقتناع بأنهم كانوا فكروا في ربطها بقواعد النحو وأصول البيان في الجاهلية ، أو كيف أنهم فكروا في ربطها بقواعد النحو مع أن العرب لذلك العهد لم يكونوا عرفوا النحو ، فأمر لا يقدر على فهمه إلا من قدر على قوله : صاحب الكتاب ومن على غراره في البحث والتفكير .

محمد أحمد الغمراوي

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب

ولست أدرى كيف يتفق لمثل هذا المحطم الذى لم تبق له الأيام إلا أشلاء من الآمال أن يرقى الجبل مزوداً بأعصاب قوية فصعدت لا زاداً سوى الأعصاب والفصحى العروب

ثم ما رأيك فى كلمة « الأعصاب » فى هذا الشعر ؟

ومن تناقضه أيضاً أنك تراه ساخطاً على الشباب آملا الخير فى الشيب :

وسئمت من ليل الشبيبة وانتظرت ســـنا المشيب

ولكنه — وقد بلغ الثمانين من زهده وشاب بخياله — ساخط أيضاً على الشيب :

وبلغت من زهدى الثمانين التى هدّت جنـــوبى

عثرات اللغة والنحو

وهذا شائع فى شعر القوم ولا سبب له إلا جهلهم باللغة وأساليبها ، وقصرهم فى الاطلاع على كنوزها ودقائقها . وارتضاخ ألسنة الكثير منهم بلكنة أعجمية يُزْهَوْن بأن تظهر فى تعبيرهم ، وأخيراً عدم مبالاتهم بما يغشو فى أساليبهم من اللحن وتهوينهم من شأنه . يقول شاعرنا :

وتكشفت لى عنـــة الأكفاء فى البلد العجيب

والأكفاء هم النظراء ، وإنما يريد الأكفياء جمع كفىّ أو الكفاة جمع كاف ... ويقول :

وقصيدُ عمرِ دامىَ الأوزان مجروحَ الضروب

ولست أدرى بم نصب نعت المرفوع . ولا معنى للتعلل بالقطع هنا

أوهام الاستعارات وفسادها

ولعل فساد الاستعارة من أشهر عيوب القوم . فالمعروف أن للاستعارة أصولا ودقائق يزلّ من يحيد عنها ، وأنه لا بدّ من أن تكون مشابهة بين المستعار والمستعار له حتى تصح . . . على هذا جرى كلام العرب ، ولكن سادتنا لا يحفلونه ، هم يستعيرون ما شاءوا لما شاءوا من غير اكتراث بعلاقة . وحسبهم ما فى الألفاظ من بريق ولمعان

ثم إن الاستعارة فى كلام بلغاء العرب كانت بمقدار ، وقد تقرأ القصيدة من شعر امرىء القيس أو الفرزدق فلا يقع لك إلا استعارة أو اثنتان أو ثلاث أو ما قرب من ذلك ، وقد عاب النقاد على شعراء بنى العباس إيغالهم فى الاستعارة والتجنيس ، وقضية الاستعارة فى شعر أبى تمام استغرقت أكثر كلام الآمدى فى كتاب الموازنة . فما بال شعرائنا يغرقون فيها — إلى فساد فى التشبيه وانقطاع فى العلاقة — إغراقاً بعيداً يجعل كل شعرهم استعارات وصوراً متراكمة ، وما هكذا يكون البيان . وقديماً قالوا إن الشىء إذا زاد عن الحد انقلب إلى الضد . اقرأ لشاعرنا هذه الأبيات :

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب
وجـراح أنات تلاشت واندملن على ندوب
ورفات آهات تضمن قبرها صـدر الغيوب
وقناة دمع لم تزل بالخد من عهـد النحيب
وحنين قلب ملجم الدقات مكبوح الوجيب
نزاع شجو دونه فى ناره شجو الغريب
وقصيد عمر دامى الأوزان مجروح الضروب

أرأيت إلى أشلاء الآمال، وجراح الأنات، ورفات الآهات وقبرها، وصدر الغيوب، وقناة الدمع، والدقات الملجمة، وقصيد العمر، والأوزان الدامية، والضروب المجروحة ؟ أرأيت إلى هذه الزحمة المرهقة ؟ ثم اسمع إليه بعـد ذلك يصف أيام الطفولة بأنها رفافة كالروح أو كالنور أو طيف الحبيب وأنها ريا كنوار الروج ، ثم إنى أؤكد لك أن شاعرنا — على ما رأيت — مقتصد فى استعاراته وتشبيهاته بالنسبة لما عودناه شعراؤنا المجددون ، فهل هذا هو التجديد يا معشر الشعراء ؟

لقد مرت عصور كان الجناس فيها آفة الأدباء ، فهل يحق لنا أن نقول إن الاستعارة والتشبيه اليوم آفة الشعراء ؟

سوء المقابلة

والمقابلة من محسنات البديع ، ولكن لهـا دقائق . وقديماً عابوا على الشاعر مقابلته الحب بالجرم فى قوله (سرور محب أو إساءة مجرم) ، لأن مقابل الحب هو البغض لا الجرم مع أن البغض مجرم

وشعراؤنا يقابلون فيخلطون ، وشاعر اليوم يقابل السرور بالبكاء وبرج السعد ببرج الخطوب وإنارة الشمس بغيابها ، وقد يكون له فى كل هذا تأويل ولكنه على كل حال مما يضعف الشعر ويشوه جماله